

الشاعر القائد الشهيد
عبد الله بن رواحة

obeikandi.com

الشاعر القائد الشهيد

عبد الله بن رواحة

إن الفداء الحق — فداء من أقبلت عليه الحياة وملكتها لافداء من أدبرت عنه وخرجت من يده فضحين وفدى أما الأولون فهم الأموات الخالدون وأما الآخرون فهم الأموات أبداً — ومن ذلك الصنف الأول شاعرنا القائد الشهيد (عبد الله بن رواحة) صورة من صور عضاء المجاهدين الذين ضربوا للناس أرفع المثل وعاشوا في عالمهم الآخروي في سعادة سرمدية إذ يرون رساله الله كيف سارت حتى انتظمت فيها الدنيا وسادت العالمين وهذه هي أنبل غاية استشهدوا من أجلها تحت لواء رسول الله فأنشدت لهم كائنات السماء أناشيد الخلود .

عبد الله بن رواحة :

هو (عبد الله بن رواحة الأنصاري) ويقال كنيته أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو الخزرجي الشاعر المشهور ، ويكنى : (أبا محمد) ولعله كان يكنى بها جميعاً وأبوه «ثعلبة بن امرئ القيس» ينتهي نسبه إلى الحارث بن الخزرج وأمه كبشة بنت واقد خزرجية أيضاً وليس له عقب. وهو من السابقين الأولين من الأنصار وخال النعمان بن بشير الصحابي المعروف وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين المقداد بن الأسود وكان يكتب في الجاهلية - والكتابة في العرب قليلة - وكان يكتب للنبي عليه الصلاة والسلام في الإسلام . وقد كان عظيم القدر في قومه سيدا في الجاهلية ليس في طبقته أسود منه كما كان على القدر في الإسلام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شاعريته :

أما شاعريته فقد أجمع الثقات عليها فعده ابن سلام من الشعراء الفحول من الخزرج وقال عنه ابن كثير أنه من شعراء الصحابة المشهورين . وقال الزبير رضى الله عنه : ما رأيت أحداً أجراً ولا أسرع شعراً من ابن رواحة وكان أول من ذب عن رسول الله عليه السلام بلسانه ونافح عن دعوته ضد أعداء دينه من صناديد العرب . ويقول عنه الأمدى : إنه شاعر محسن وفارس مقدم . ولقد روى أنه لما نزلت الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاؤون » قال عبد الله بن رواحة : قد علم الله أنى منهم فأنزل الله « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . . » ولقد كان النبي عليه صلوات الله وسلامه يدعوهم إلى قول الشعر ويستحبه منه فقال له عليه السلام « إنزل فحرك بنا الركاب » قال (يارسول الله إني قد تركت قولى ذلك » فقال عمر رضى الله عنه « اسمع وأطع » فنزل وهو يقول :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الكفار قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

فقال النبي عليه السلام « اللهم ارحمه » فقال عمر رضى الله عنه « وجبت » وحسبه تكريماً أن النبي الكريم كان يرتجز بهذا الرجز حين خندق في غزوة (الأحزاب) وهو ينقل التراب ويمد صوته بآخر كلمات هذه الأرجوزة . وقد روى ابن رواحة أنه مر في مسجد رسول الله والرسول عليه الصلاة والسلام جالس وعنده أناس من أصحابه في ناحية منه فلما رأوه نادوه وكرروا النداء فعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه فانطلق نحوه فقال له النبي صلوات الله وسلامه عليه : إجلس هاهنا فجلس بين يدى الرسول الكريم فقال له النبي عليه السلام : كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول ؟ كأنه يتمجب لذلك! فقال

ابن رواحة (أنظر في ذلك ثم أقول) قال له الرسول عليه الصلاة والسلام
فعليك بالمشركين . ولم يكن عبد الله قد هياً شيئاً فنظر في ذلك ثم أنشد :
خبروني أئمان العباء متى كفتم بطريق أو دانت لكم مضر
فتغير وجه رسول الله حمية لقریش وكره بعض ما قاله وأنه جعل قومه
أئمان العباء فعاد عبد الله يقول :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به البصر
يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلاً ما له غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فنبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا
فأقبل عليه النبي عليه الصلاة والسلام بوجهه مبسماً وقال (وإياك فثبت
الله) وقد أتى النبي الكريم وهو يخطب فسمعه يقول إجلسوا فجلس
مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ النبي عليه الصلاة والسلام من خطبته فبلغ
ذلك النبي الأمين فقال له : زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله - وقد
تملكه حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان كثيراً ما يلازمه ، وها هو ذا
رسول الله عليه السلام يدخل المسجد على بعير يستلم الحجر بمحجن في (عمرة
القضاء) وبصحبه ابن رواحة يأخذ بزمام ناقته وهو يرتجز :

خلوا بني الكفار عن سبيله نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهب الخليل عن خليله

فقال عمر رضی الله عنه : يا ابن رواحة : أفي حرم الله وبين يدي رسول الله
تقول هذا الشعر ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : خل عنه يا عمر فوالذي
نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبال ، وقد ذكر ابن شرف النووي
(م ٥ - شهداء الإسلام)

أن ابن رواحة أحد الشعراء المحسنين الذين يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين، ويؤيد دعواه ما ذكره صاحب الأغاني من أنه كان أحد الثلاثة (هو وحسان بن ثابت وكعب بن مالك) الذين كانوا يردون عن النبي صلى الله عليه وسلم أذى قريش وشعرائهم بالهجاء المرفلما أسلمت قريش كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة لأنه كان يهجوم بالكفر.. ويذكر المرزبانى فى معجم الشعراء أن أحسن ما مدح به النبي عليه السلام قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنفيك بالخبر

ومما نقله البخارى من شعره فى رسول الله قوله :

وفينا رسول الله نتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
بييت يحافى جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موفيات أن ما قال واقع

وقد عده أبو زيد القرشى فى (جمهرة أشعار العرب) من أصحاب المذاهب - مع حسان بن ثابت - وهى للأوس والخزرج خاصة وأورد له قصيدة منها :

متى ما تأت يثرب أو تردها تجدنا نحن أكرمها جدوداً
وأغلظها على الأعداء ركنا وألينا لباغى الخير عودا
وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر وأقصدها وأوقاها عهدا
إذا ندعى لنار أو لجار فنحن الأكثرون بها عديدا

وله شعر رواه ابن هشام فى السيرة فى رثاء نافع بن بديل ، وفى تخلف أبى سفيان عن وعده فى بدر ولكنه ذكره مشتركا فى الرواية بينه وبين كعب بن مالك فلم نوردّه وحسبنا هذه الملامح المعبرة عن شاعريته الفذة ولننتقل إلى جهاده .

قيادته :

أما قيادته فتتضح من أنه كان في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم وأنه شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وكان ليلتئذ نقيب بني الحارث بن الخزرج وشهد (بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء) والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الفتح وما بعدها لأنه كان قد توفي قبلها في (مؤتة) وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية في ثلاثين راكباً (إلى أسير بن رازم اليهودي) بخيبر فقتله . وكان في جهاده موضع تقدير رسول الله عليه السلام فهو الذي استطاع أن يرد على (عبد الله بن أبي) قبل إسلامه حين مر بمجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بالجلس أخلاط من المسلمين والمشركون عبدة الأوثان واليهود ووقف النبي يدعوهم إلى الله سبحانه ويقرأ عليهم القرآن الكريم فقال (ابن أبي) للنبي عليه صلوات الله وسلامه : (أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا . ارجع إلى رحلك فممن جاءك فاقصص عليه) فعارض (ابن رواحة) عبد الله بن أبي وهو من هو آنذاك بالمدينة وقال : (بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك) فتساب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتناورون . فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وهكذا كانت جرأة ابن رواحة كما قال (الزبير) وفروسيته كما ذكر الأمدى ولذا كان النبي عليه السلام يقول عنه كما روى أبو هريرة رضي الله عنه (نعم الرجل عبد الله بن رواحة) .

وبلغت ثقة الرسول عليه صلوات الله وسلامه بجرأته أن استخلفه على المدينة حين خرج عليه السلام إلى غزوة (بدر الموعود) وكان شاعرنا أول خارج إلى الغزوات وآخر قافل منها ، ولذا اختاره النبي الأمين أحد الأمراء في (غزوة مؤتة) في جمادى الأولى سنة ثمان واستعمل عليها (زيد بن حارثة) وقال (إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس . فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على

الناس) وتسمى أيضاً (غزوة جيش الأمراء) وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها وما لا قوه في الحرب الشديدة مع الكفار . . فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف فلما كان الخروج ودع الناس الأمراء . . أمراء رسول الله . فلما ودع (ابن رواحة) مع من ودع من أمراء الرسول صلى الله عليه وسلم بكى. فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال (أما والله ما بى حب الدنيا ولا صباة بكم . ولكنى سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فاستأدري كيف لى بالصدر بعد الورود) فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين فقال ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أوطمئة ييـدى حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والسكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي أرشده ربي من غاز وقد رشدا
ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئ ودعته فى الفخل خير مشيع و خليل
ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام فبلغ الناس أن « هرقل » قد نزل (مآب) من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من (لحم وجذام والقين وبهران ويلي) مائة ألف منهم عليهم رجل من (يلى) يقال له (مالك بن زافلة) فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على (معان) ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له وهنا وقف (ابن رواحة) يشجع جيش المسلمين قائلا :

(يا قوم والله إن التي تسكروهن للتي خرجتم لها تطلبون الشهادة . .
وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . . ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي
أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة)
فقال الناس (قد والله صدق ابن رواحة) :

هذا (هرقل) يسوق الجيش مرتكبا كالعارض الجون يرمى الأرض بالوهل
يزجي الكتائب من روم ومن عرب في المرفقات المواضي والقنا الذبل
والصافيات تهادي لاعداد لها من كل منطلق في الكر منجفل
إن الذين أرادوا الرأي وانتظروا لم يبرح النصر مولاهم ولم يزل
لم يلبث القوم حتى قال قائلهم فيم الحوار ، وهل في الأمر من جدل
إنا خرجنا نريد الله فاستبقوا من كل منتهب للخير مهتل
لوزالت الأرض أو حالت جوانبها بمن عليها من الأقوام لم نحل
ها سبيلان ، إما النصر ندركه أو جنة الخلد فيها أطيب النزل
لسنا نقاتل بالآلاف نحشدها ألفاً لألف من الأبطال مكتمل
إنا نقاتل بالدين الذي ضمنت أعلامه النصر في أيماننا الأول
لولا مقالة (عبد الله) ما انكشفت تلك الغواشي ، ولولا الله لم يقل

وهنا استحمس الأجناد فتقلدوا العزم للهيجاء وادرعوا صادق البأس وأقبلوا
إلى سعار الموقعة لو مالت الشم لم يميلوا من فزع وهنا قال (عبد الله بن رواحة) في
مجلسهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع نفر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا أزل كأن صفحتـه أديم
أقامت ليلتين على (معان) فأعقب بعد فترتها هجوم
فرحنا والجياذ مسومات تنفس في مناخرها السـموم

فلا وأبى مآب لثأيتها وإن كانت بها عرب وروم
 فعبأنا أعنتهم فجاءت عوايس والغبار لهم — أباريم
 بذى لجب كأن البيض فيه إذا برزت قوائسها النجوم
 فراضية المعيشة طلقها أسنتهم — افتكح أو تميم
 ثم مضى الجيش يقوده الأمراء وكان (زيد بن الأرقم) يتبعاً لعبد الله بن
 رواحة في حجره فخرج به في سفره هذا؛ مردفه على حقيبة رحله فوالله إنه لبسير
 إذ سمع (ابن رواحة) بفشد :

إذا أدبتني وحلت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء
 فشأنك أنعم وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلى ورأى
 وجاء المسلمون وغادرونى بأرض الشام مشتى الثواء
 وردك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
 هنالك لا أبالى طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعها (ابن الأرقم) منه بكى فضر به ابن رواحة بالدرّة وقال له (ما عليك
 بالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع أنت بين شعبتى الرحل) .

ومضى الجيش حتى إذا كانوا بتخوم (البلقاء) لقيتهم جموع (هرقل)
 من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها (مشارف) ثم دنا العدو واحراز
 المسلمون إلى قرية يقال لها (مؤتة) فالتقى الناس عندها فتعباً لهم المسلمون
 فجعلوا على يمينهم رجلاً من بنى عذرة يقال له (قطبة بن قتادة) وعلى يسرهم
 رجلاً من الأنصار يقال له (عباية بن مالك) ثم التقى الجيشان واقتتلوا فقاتل
 (زيد بن حارثة) براية المسلمين بلواء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سال
 دمه من رماح القوم واستشهد :

(يازيد) أدبت حق الله فامض على نهج الألى انتقلوا من قبل وانتقل

آبو إلى خير دار ، ما نازلها من أوبة تبعث الأشجان أو قفل
جاهدت في الله ترضيه وتنصره لم تلق من سأم يوما ولا ملل
هذا الذي نبأ الله الرسول به فاغتم ثوابك والحق الصحب في جذل

وهكذا كان مصير النفس الكبيرة التي عرف النبي الأعظم حقيقتها
فرفمها من رتبة العبودية إلى رتبة النبوة ثم أمره على المسلمين ثم رفعه مرة
أخرى إلى رتبة الشهداء الصالحين . . وفي المدينة وقف النبي صلى الله عليه وسلم
يقول (استغفروا الزيد لقد دخل الجنة وهو يسمى) لحمل اللواء (جعفر) فتى
بنى هاشم فجاءه الشيطان ومنه الحياة الدنيا وكره له الموت فقال (جعفر) : (الآن
حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا) ولم يتردد لحظة وقاتل حتى
لم يجد مخلصاً يفرمى بنفسه عن فرس له شقراء وضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف
وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ككافرة بعميدة أنسابها
على أن لاقيتها ضرابها

ثم انقض على الروم يقتل فيهم يميناً وشمالاً ، ولكن ما لبثت سيوفهم أن
قطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله فمقطعت فاحتضنه بمعضديه فضر به سيوفهم حتى
قطعوه نصفين ، وأقبل عليه المسلمون فوجدوا فيما بقي من بدنه تسعين ضربة بين
طعنة برمح وضربة بسيف :

وأنت يا (جعفر) المأمول مشهده خذ اللواء وجاوز غاية الأمل
هذا جوادك ما حالت سجيته ولا ارتضى بوفاء الحر من بدل
عقرته وركبت الأرض تمنعه مواطن السوء من ضن ومن بخل

دلقت تمشى على الأشلاء مفتحماً والقوم منجدل في إثر منجدل
فقدت يمينك فانصات اللواء على يسراك ما فيه من أمت ولا خلل
حتى هوت فجعلت الصدر موضعاً كأنه منه بضع غير منفصل
يا قائد الجيش ضج الجيش من ألم وأنت عن دمك المسفوك في شغل
لقيت حتفك في شعواء عاصفة حرى الجوانح ظمأى البيض والأسل
أعطيتها منك نفساً غير واهنة أعطاك سورة مجد غير منتحل

وهنا يأتي دور الشاعر القائد المؤمن الذي فنى في دعوة الله وطاعة رسوله
والذي قال عنه أبو الدرداء (أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكر فيه عبد الله بن
رواحه كان إذا لقيني مقبلاً ضربني بين يدي وإذا لقيني مدبراً ضربني بين
كتفي ثم يقول : يا عويمر تعال ساعة فلنجلس فنذكر الله ما شاء ثم يقول يا عويمر
هذه مجالس الإيمان) وسألوا امرأة قائداً الشهيد عنه فقالت : (كان إذا أراد أن
يخرج من بيته صلى ركعتين وإذا دخل صلى ركعتين لا يدع ذلك) .

جاء دور (عبد الله بن رواحة) فإنه حين استشهد جعفر أخذ ابن رواحة الراية
ثم تقدم بها وهو يقول (يا نفس إلى أى شيء تتوقين إلى امرأتى فهي طالق إلى
غلمانى فهم أحرار وإلى صحن حائط فهو لله ورسوله) ثم رفع اللواء واستقبل
فقاتل برهة ثم عاد وأخذ يؤنب نفسه على ترده كل التأنيب يلوم نفسه على لحظة
صغيرة ترددها فعاذ يقول :

أقسمت يا نفس لتنزله — لتنزله أو لتكرهه —
قد أجلب الناس وشدوا الرنه مالى أراك تكرهين الجفه
قد طال ما كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة فى شنه

ونزل المعركة واشتد الهول فأصيبت أصبعه فارتجز وجعل يقول :

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلمها هـدبت
وإن تأخرت فقد شقيت

يعنى فعل صاحبيه (زيداً وجعفرأ) ثم استعر أوار المعركة وأناه ابن عم له
يعرق من لحم (العظم عليه بعض اللحم) وقال لابن رواحة (شد بهذا صلبك
فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت) ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث
— فأخذه ثم انتس منه نهسة بغمه ؛ ثم سمع الخطمة فى ناحية الناس فقال لنفسه :
(وأنت فى الدنيا) ثم ألقى عرق اللحم من يده وأخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى
استشهد .

استشهاده

أما استشهاده فكان فى جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة باللقاء زاهدا
فى البقاء راغباً فى اللقاء وكتبت له الرحمة التى وعده بها سيدنا محمد الصادق الأمين
وأمن عليها عمر خليفة المسلمين :

إنهض بعينك (عبد الله) مضطجاً	بشكل ما تحمل الأطواد من ثقل
هذا مجالك فاركض غير متند	وإن رأيت المنايا جولاً فجل
كم جئت بالعربى السمع مرتجلاً	واليوم يوم منايا الروم فارتجل
للمبقرية فيه مظهر أنق	يا حسنه مظهراً لو كان يقدر لى
يا شاعر الصدق ماخاب الرجاء ولا	مثل العطاء الذى أدركت والنفل
خذ عند ربك دار الخلد تسكنها	قدسية الجو والأرواح والظلل
آثرته واصطفيت الحق تكاؤه	مما يحاول أهل النى والضلل
ليس العرائن كالأذنان منزلة	ولا الفطارفة الأمجاد كالسفل

وفى عالم آخر لا ينتهى اجتماع الأحبة الذين عرفوا الحب تضحية وفداء لله

ورسوله لاشهوات وصفائر فكانوا في الأرض الأوفياء المجاهدين وكانوا في
الآخرة الشهداء الخالدين .

وقد اجتمع المهاجرون والأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخذ
زيد بن حارثة الراية فقاتل حتى قتل شهيدا ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل
حتى قتل شهيدا) ثم صمت رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى تغيرت وجوه
الأنصار وظنوا أن كان في (عبد الله بن رواحة) ما يكرهون فقال عليه الصلاة
والسلام (ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا) .

صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا (بمؤنة) للإله نفوسهم حذر الردى ومخافة أن ينكأوا